دخان..

دخان

إن كنت صاحب مرض في الصدر، فكان الله في عونك يا صديقي مرة . وإن كنت صاحب مرض في الصدر وتسكن في مصر، فكان الله في عونك مرتين .وإن كنت رجلًا وصاحب مرض في الصدر وتسكن في مصر فكان الله في عونك عدد ما كان وما يكون وعدد الحركات والسكون.

مريض الصدر في مصر يرى العالم من منظور مختلف، يشعر أحيانًا إن أتوبيسات النقل العام سيارات رش مهمتها الأساسية هي قتل المواطنين لا نقلهم .يمتنع كثيرًا عن رفقة أصدقائه؛ لأن ملتقى التجمع الأساسي للرجال هنا هو القهوة .وهذا المكان تحديدًا بمنزلة غرفة تعذيب لمريض الصدر لنزع اعتراف منه. وهو بالطبع غير مرحب به في العمل عمومًا ومكتب المدير الذي لا يفارق سجارته خصوصًا .وهو الشخص الوحيد الذي يضيق صدره من مشاهدة المناظر في الأفلام التي يدخن البطل فيها سيجارته كما يضيق صدر أب من مناظر القبلات في الأفلام في حضور أطفاله .وغالبًا ما يقلب المحطة كما يفعل ذاك الأب. إن كنتِ فتاة أو امرأة فقواعد الإتيكيت تنص على الاستئذان أولًا قبل إشعال سيجارة أمامك. بينما تنص هذه

القواعد على أن تعزم بسيجارتك على الرجل الذي ستشعلها أمامه في حالة رفضه العزومة أو تقبلها. وكمريض صدر اضطر كثيرًا لمنع المرافق من إشعال سيجارته في حضوري مما يعيد المياه بيننا إلى ثلج بعد خطوات إذابتها.

مررت بالكثير من المواقف المحرجة في حياتي بسبب هذه العلة .ولكن اليوم كان أكثرها إحراجًا على الإطلاق.

بعد أن استجمعت قوايا الأيام الماضية، وبحت بإعجابي لزميلتي في العمل مريم. فكان اليوم هو أول موعد بيننا، فنحن لا نعرف الكثير عن بعض، فهي في قسم مختلف عن قسمي. التقينا عدة مرات في الطرقات وفي تجمعات الأقسام أثناء الاحتفالات الصغيرة أو المناسبات الخاصة في الشركة .دائمًا ما تجذبني ضحكتها وأناقتها وبالطبع رشاقتها، لها إطلالة مميزة تخطف الأنفاس، كان عيبها الوحيد الذي أراه وحدي هو المبالغة في التعطر . فهي بمنزلة فواحة متحركة، دائمًا ما يسبق عطرها وجودها، ولا يوجد شخص يعتبر هذا عيبًا إلا أنا؛ لأن العطور تعمل عمل الدخان مع صدري، أي نعم بوقع أقل وأثر أطيب، ولكن توقع الضرر في النهاية.

خرجت معها في موعدنا الأول اليوم في أحد المطاعم المرموقة، وبعد تناول الطعام تبادلنا أطراف الحديث، تحدثت عن عائلتها وأحلامها .وعن رغبتها في السفر حول العالم وتحرقها شوقًا بفعل ذلك مع شريك حياتها، أحسست بسعادة غامرة ورضا، شعرت أن مريم هي فتاة أحلامي التي ادخرها الزمن لي ليكلل سنوات الوحدة والخيبات بالنهاية السعيدة .حتى أخرجت آنسة مريم من حقيبتها علبة سجائر وسحبت منها سجارة.

حركات استغرقت بضع ثوان من وقتنا المحسوب والكثير من الدقائق في عقلي المذهول.

لم أكن أعلم إنها مدخنة، لم أرها قط تدخن .ولا تنبعث منها رائحة المدخنين، ألهذا تبالغ في التعطر؟

إن منعتها عن التدخين، أحرجتها وعدت بها إلى ارتباك أول اللقاء . وقد تظن أني ضد حرية المرأة ولا أحترم اختياراتها .إن صارحتها بضعف رئتي قد يقلل هذا من نظرتها لي كرجل، فماذا أنا بفاعل؟.

لم تشعل السيجارة في يدها .ظلت تتلفت يمينًا ويسارًا حتى وجدت أحد العاملين بالمطعم وسألته عن طفاية سجائر، فرد وقال إن هذه المنطقة ممنوع التدخين فيها .فأعادت السيجارة إلى العلبة ثم إلى الحقيبة في خيبة أمل.

حمدت الله وأكملت الحديث في اقتضاب .وفي النهاية بعدما دفعت الحساب وأوصلتها إلى منزلها بسلام، بعثت لها رسالة على المحمول لأشكرها على الأمسية الجميلة ووقتها الثمين وأعتذر لها عن عدم رغبتي في المضي قدمًا في علاقة عاطفية طالبًا منها إبقاء علاقتنا في إطار الزمالة أو الصداقة ليس أكثر.

ردت عليا برسالة أخرى تشكرني على ذوقي وعلى الأمسية وتخبرني باحترامها لي ولرغباتي. وسألت إن كان من الممكن أن أخبرها عن السبب في عدم رغبتي في المضي عاطفيًا معها إن أمكن. فرددت (لا أرغب بالسفر حول العالم).